النسوية من الحركة الاجتماعية إلى النقد النسوي مابعد الكلونيالي

Feminism, From Social Movement to Post-colonial Feminist

الدكتورة: منى بشلم

قسم اللغة العربية و آدابها – المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار –قسنطينة -الجزائر
m.bechlem@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/09/26 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص كثيرا ما تتناول البحوث موضوعات تتمحور حول النسوية و إشكالية المصطلح و الإبداع النسوي و خاصة الرواية النسوية، لكن لا نجد بحوثا تعود لإضاءة النسوية كمسار تطوري ، فمتى ظهرت و ما أسباب نشأتها، وماهي المسارات الفكرية التي سلكت في تطورها ، في هذا البحث نطرح سؤال البدايات ، و نتتبع بشكل استقصائي أهم المحطات التي مرت بها النسوية بدءا من ظهورها كمطالب فردية ثم تطورها و تحولها إلى حركة إجتماعية و سياسية، أخيرا دخولها المجال الأكادمي، و نخلص إلى الجهود النقدية و أخير النقد النسوي مابعد الكلونيالي.

- الكلمات المفتاحية: النسوية؛النقد النسوي؛مابعد الكلونيالية؛ حركة إجتماعية-سياسية ؛ الهيمنة
-

- ***Abstract*** Research often deals with topics centered on feminism, terminology, feminist creativity, especially the feminist novel, but we do not find research Looking at feminism as an evolutionary path. When did it emergence and what is the reasons for its emergence. in this research we ask the question of beginnings, and we follow in a survey the most important stations that women went through :starting from their emergence as individual demands and then developing and turning into a social and political movement, finally entering the academic field, and we conclude the critical efforts and at last the Post-colonial feminist criticism.

key words: feminism; feminist criticism; post-colonialism; socio-political movement; dominance

تقديم

يتقاطع الخطاب النسوي والخطاب مابعد الكلونيالي في مناهضتهما للسيطرة التي تُفرض على الخاضعين ،فكل من النظام الأبوي و الأمبريالية مارسا أشكالا متشابهة من السيطرة، هذا الخضوع للهيمنة هو ما يجمع بين النساء و المستعمَرين كما يجمع بينهما تباين هذه الهيمنة فكما اختلفت ممارسة الهيمنة الاستعمارية زمانيا ومكانيا ، كذلك اختلفت أيديولوجيا الهيمنة الذكورية و ممارساتها و تنوعت تاريخيا و جغرافيا و ثقافيا ، فبنى النظام الأبوي البريطاني –مثلا- كانت مختلفة في القرن السادس عشر عما هي عليه الأن ، كما تختلف هذه البنى بين الطبقات في ذلك الحين و في هذه الأيام،و كل تلك الأمور تختلف بصورة أكبر عن النظام الأبوي في الصين[1]

و لأن النقد ما بعد الكلونيالي عرف بطابعه المقاوم للإيديولوجيات و المركزيات المهيمنة التي تم تكريسها بواسطة الاستعمار بأشكاله المختلفة، و مناهضة تهميش الفئات المضطهدة و الأقليات المهمشة ، في محاولة لاسترداد الأصوات المغيبة، فإن" النسوية وجدت في هذا الخطاب الآلية لتفكيك الخطابات الذكورية حول الأنثى، التي تم تهميشها وتغييب صوتها في مقابل مركزية الفحولة، لكن هنا أيضا تظهر نقطة مشتركة بين الخطابين، فكما تناهض النسوية النظام الأبوي و هو ظاهرة مختلفة و متعددة من حيث ممارستها ما يجعلها تتذبذب في تحليلها بين الكليات و الخصوصيات في اضطهاد النساء، فيصبح "النظام الأبوي" إذن اختزالا مفيدا لإظهار بنية من اللامساواة هي عمليا متنوعة بصورة كبيرة لأنها تعمل مع بنى اجتماعية أخرى ، كذلك فإن مصطلح مابعد الاستعمار "مفيد كتعميم لدرجة" أنه يشير إلى عملية تحرر من مجموعة الأعراض الاستعمارية المتزامنة كاملة و التي تظهر هي الأخرى بأشكال متعددة[2]

نتج عن هذه التشابهات تقارب في الاهتمامات فكل من النسوية و مابعد الكلونيالية تهتم بالطرق والمدى الذي يكون عنده التمثيل و اللغة مهمّين لتشكيل الهوية و صياغة الذاتية. اللغة لكلتا المجموعتين أداة لهدم السلطة – الأبوية و الامبريالية- فاستدعى كلا الخطابين أطروحات جوهرانية في طرح أشكال من اللغة أكثر أصالة، ضد الأشكال المفروضة عليهما. يشترك الخطابان في حس الانفكاك عن لغة موروثة و لهذا حاولا استعادة أصالة لغوية تعود لما قبل الاستعمار و اللسان الانثوي البدائي. لكنهما كغيرهما من الجماعات التابعة استخدما الاستحواذ لهدم و تكييف لغات مسيطرة و ممارسات دلالية.

كما تهتم نصوص كل من النسوية و مابعد الكلونيالية بنظرية الهوية و الاختلاف و استدماج الذات أيديولجيا بالخطاب السائد و تقديم استراتيجيات مقاومة للسيطرة ، يمكن أن نضرب مثالا بهذا التشابه بكتابة الجسد في النسوية و كتابة المكان في مابعد الكلونيالية [3]

خضعت النساء من البلدان المستعمرة لكلا هذين الشكلين من السيطرة ، ما جعل النقاش يحتدم حول ما إذا كان الجنذر أو القهر الكلونيالي هو أهم عامل سياسي في حياة النساء، لأن السيطرة الكلونيالية تؤثر بطرق مادية على وضع النساء ، خالقة معاناة من الفقر و القهر ، أدى هذا التباين في ظروف هذه الفئات من نساء العالم الثالث بشكل عام إلى بروز نداءات بإيلاء اهتمام أكبر بدراسة توظيف الجنذر في الممارسات الامبريالية، و ابتداء من ثمانينيات القرن الماضي بدأت النسوية تتصدع لتبرز الاختلافات في فئة النساء التي افترضت النسوية الغربية أنهن فئة موحدة ، و أن الجندر يطغى على الاختلافات الثقافية ليخلق فئة عالمية مما هو نسائي أو أنثوي، لتبرز اختلافات في أجندات النسويات من ثقافات مختلفة ، تفضح مركزية النسوية البيضاء، لتنشق منها نسويات تدخل في جدالات تؤدي في النهاية إلى انطفاء جدوة النسوية ، حتى نصل إلى جيل مابعد النسوية:

مراحل تطور الحركة النسوية :

لم يقتصر تأثير الحركة النسوية على حياة النساء فقط ، بل إنها كانت من أكثر الحركات إثارة للجدل في القرن المنصرم ، طال تأثيرها كل جوانب الحياة الإجتماعية و السياسية و الثقافية في مختلف أنحاء العالم، حتى أنها أصبحت ملمحا مألوفا من ملامح الخريطة الثقافية، ما يجعل هذا المصطلح مألوفا و يخيل لسامعه أنه درك بالضبط معناه ، إلا أن للنسوية تاريخا طويلا يزودها بدلالات متنوعة.

في تعريف النسوية أو في ماهية النسوية

تعرف مؤلفات كتاب "الحركة النسوية" هذه الحركة من خلال مظاهرها فيحددنها في عدد من العناصر أهمها :

. التمرد على كل بنى القوة و قوانينها و أعرافها التي تجعل النساء خادمات و خاضعات في المرتبة الثانية.

.تحدي العلاقات بين الرجال(كجماعة) و النساء (كجماعة أخرى)

.تحدي تقسيم العمل في العالم الذي يجعل الرجال يتكفلون بالمجالات العامة – العمل، الرياضة ، الحروب، الحكومة- بينما تكون النساء خادمات بدون أجر في المنزل ، يتحملن كل عبء الحياة الأسرية.[4]

يعود بنا هذا التعريف إلى بدايات الحركة النسوية ، و المطالب الأولية التي انطلقت منها ، و التي كانت تأمل تحقيقها من خلال تضامن النساء مع بعضهم البعض على نحو واع من أجل حقوقهن، و رغم أن هذه الحقوق قد حصلت على الأقل بالنسبة للمرأة البيضاء، و ذلك من خلال مسار تاريخي طويل، حيث يعود طرح هدا المصطلح لأول مرة إلى عام 1860، ليعود ويطرح بقوة في القون العشرين في أمريكا ، و بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا. تمثل النسوية بالأصل حركة سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية ، تتمثل في حقوق المرأة و إثبات ذاتها و دورها [5] كان منطلقها الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة –لا لأي سبب سوى كونها امرأة- في مجتمع ينظم شؤونه و يحدد أولياته حسب رؤية الرجل و اهتماماته[6] ، أما و قد دخلت المجال الأكاديمي و اتضحت معالمها بعد مسار طويل فإننا نجد تعريفات أكثر دقة في تحديد لماهيتها ، فمعجم Hachette مثلا يعرفها بأنها " منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن، في حين يخصص ويبستر Webster فيعرف مختلف جوانبها فهي : النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا و اقتصاديا واجتماعيا، و تسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها و إلى إزالة التميز الجنسي الذي تعاني منه المرأة [7]، و في العريفين إشارة إلى المطالب الأولى التي انطلقت منها الحركة النسوية لتتسع و تتشعب مع كل موجة جديدة.

الموجة الأولى :

بدأت الموجة النسوية الأولى بتفجر الدعوة لحقوق المرأة بصورة انفعالية ثم تسارع ايقاعها بفضل نساء عملن بصورة فردية للوصول إلى غايات محددة، شديدة التخصص ، بمعنى أن كل منهن كانت تركز على حملة بعينها دون التطرق لغيرها ، من مثل الدعوة لحق حضانة الأطفال، أو الدعوة لانشاء كليات للبنات أو غيرهما. و كن في الأغلب يعتمدن على الرجال لمساعدتهن في الشق القانوني أو البرلماني من دعوتهن، التي تمحورت حول جملة من الحقوق الأولية هي التعليم ، و حق المرأة المتزوجة بالملكية و حضانة الأطفال، و حق التصويت.

كانت بداية هذه الموجة بظهور كتاب ماري ولستونكروفت Mary Wollstonecraft "دفاعا عن حقوق المرأة" سنة 1792 و الذي تزامن و الاضطرابات الاجتماعية و السياسية التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية، و رغم أنه كان مسبوقا بمعالجات مثلت الارهاصات المبكرة للحركة النسوية من

مثل "مقترح جاد للنساء" لماري أستيل عام 1694، إلا أن كتاب ولستونكروفت كان أول من أطلقت صرخة صريحة تدعو نساء الطبقة الوسطى لضم الصفوف[8] كما دعت إلى تعليم أكثر عقلانية للنساء ، و ناقشت مفهوم الأنوثة في المجتمع، لتبدو المرأة المثالية في كتابها هي امرأة تجمع بين المسؤوليات المدنية و الأسرية متحررة من الأعباء التي تتقل كاهلها، رغم أن كتابها جاء في فترة سيطرت فيها فكرة الميادين المنفصلة ، و التي تعني أن المرأة تبقى في البيت لتخلق به جوا من السكينة و الطهارة بينما يتصدى الرجل لما هو خارجه، أما بعد هذا الكتاب فانتشرت كاتبات اخترن تحمل الطابع الاصلاحي اشتهرت من بينهم ماري أليس بوصفها للمرأة بأنها "مخلوق نسبي" بمعنى أنها غير ذات أهمية ككائن منعزل و لكن صلاتها بأبويها و زوجها و أولادها هي التي تعطيها دورا في المجتمع[9]

الحملة التالية البارزة كانت بقيادة كارولين نورتون في العام 1839 و كان موضوعها حضانة الأطفال ، التي لم يغير القانون حولها إلا عام 1873، لكن قضيتا كارولين حول الطلاق و الحضانة كانتا واسعتي الأثر و تضافرتا مع دائرة شارع لانجهام لاحداث تغيير في الرأي حول قضايا حاجة المرأة للعمل ، و تعليمها ..و غيرها من القضايا.

أما في الولايات المتحدة فإن الدعوة إلى حقوق النساء بدأت في وقت أبكر و ذلك بانعقاد مؤتمر سينيكا فولز عام 1848 و قد طالب بوضع حد للتمييز القائم على الجنس ، غير أن ما ميز هذه الدعوة هو ارتباطها بالدعوة إلى الاعتدال و إلغاء الرق. أما المطالب فكانت نفسها ، و قد شهدت الستينات و السبعينات من القرن التاسع عشر اصلاح التعليم، بعد أن شهدت خمسينات القرن ذاته اصلاح قوانين الزواج[10].

أما من الجانب الفكري فتبرز أهمية هذه الموجة في تصديها للأفكار السلبية عن المرأة العائدة إلى التراث اليهودي و المسيحي عن كون المرأة أصل الخطيئة، و كذا صورة المرأة في مواقف عدد من المفكرين و الفلاسفة من أفلاطون الذي يرى المرأة في درجة ذنيا مع العبيد و الأشرار و المرضى و المخبولين، و حتى الفلاسفة المتأخرين من أمثال ديكارت الذي يربط العقل بالذكر و المادة بالمرأة ، مرورا بكانط الذي ينسب للمرأة الضعف في تكوينها و قدراتها العقلية، و جون جاك روسو الذي يرى أن المرأة وجدت لأجل الجنس و الانجاب فقط. فتبلورت من خلال الرد على هذه الآراء طروحات نسوية جديدة أثبتت أن هذه النظرات الدونية للمرأة ما هي إلا نتاج الثقافات السائدة و لا ترتكز إلى مصادر طبيعية، بل إنها لا تعدو كونها نتاج النظام البطريكي الذي جرى بناؤه منذ آلاف السنين و ظل متماسكا فخلق علاقات تراتبية بين الجنسين تحولت إلى قناعات راسخة عند كلايهما.[11]

الموجة الثانية:

تتميز هذه الموجة بوعي نسوي راديكالي حاد، أكثر من سابقتها، خاصة و أنها انتقلت من الجهود الفردية الإصلاحية إلى حركة لـ" تحرير المرأة" جماعية وثورية. نشأت هذه الموجة في ستينات القرن العشرين منبثقة في أمريكا من حركة الحقوق المدنية، والحركة الطلابية و الحركة المناهضة لحرب فيتنام ، بدأت النساء بالخروج عن هذه الحركات اليسارية بعد أن وجدن أنفسهن يلعبن أدوارا ثانوية على كل المستويات، و انخرطن في جماعات تحرير المرأة التي لا تخضع للترتيب الهرمي، و استعن لتشر أفكارهن بالبنية الأساسية للدوائر الراديكالية و الصحافة السرية و الجامعات الحرة.[12] أما في بريطانيا فقد ارتبطت بالنضال العمالي الصناعي لنساء الطبقة العاملة ، مثل عاملات الحياكة ، و النساء الناشطات في المجال السياسي اليساري الراديكالي، مما أعطي لحركة تحرير المرأة ملمحا ماركسيا اشتراكيا فاختلفت عن النسوية الليبرالية و الراديكالية التي كانت سائدة في امريكا. غير أن هذه الفترة من حياة النضال النسوي اتسمت بالانقسام الداخلي ، فبرزت تيارات داخلها أهمها : النسوية الماركسية ، و النسوية الليبرالية، النسوية الإشتراكية، و النسوية الراديكالية، كما تضيف بعض الدراسات تيارات أخرى هي : النسوية البيئية، و النسوة السوداء، و النسوية الثقافية ، و النسوية الوجودية[13]. تتلخص مطالب هذه الموجة - رغم الاختلافات التي تميز مختلف تياراتها- فيما صاغه مؤتمر راسكن بأكسفورد في فيفري 1970 و هو أول مؤتمر وطني لتحرير المرأة، و الذي خلص إلى أربعة مطالب هي : المساواة في الأجور، و المساواة في التعليم و الفرص، و إنشاء حضانات تعمل على مدار اليوم، و الحرية في استخدام وسائل منع الحمل و اللجوء إلى الإجهاض حسب الطلب.[14]

أما من الناحية الفكرية فقد دعت نسويات هذه الموجة إلى إعادة تشكيل الصورة الثقافية للأنوثة بما يسمح للمرأة بالوصول إلى النضوج و اكتمال الذات أي تحقيق الأنوثة ، واتخذت الأنوثة ذاتها تعريف جديدا حيث رأين أنها غامضة و غريزية إلى درجة أن العلم الحديث الذي يصنعه الرجل لا يستطيع فهمها. و تشكلت هذه الرؤى الجديدة في جملة من المؤلفات التي شكلت النظرية النسوية و التي اقتحمت المجال الأكاديمي سواء داخل مجال الدراسات النسائية أو في غيرها من المجالات. فبدأ من سنة 1970 ظهرت عديد المؤلفات لكاتبات نسويات من بين أهمها "السياسيات القائمة على التحيز للرجل" لكيت مليت، و "جدلية الجنس" لشولاميت فايرستون، و "أختية النساء قوة" لروبين مورجان، و "المرأة المخصية" لجرمين جرير،و" اللغز الأنثوي" لبيتي فريدان، و "مواقف أبوية لإفا فيجز، و التي لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى مرجعين أساسيين هما "الجنس الآخر" سيمون دي بوفوار و " أصل العائلة و الملكية الخاصة و الدولة" لفريدريك إنجلز، في المؤلف الأول

وضعت سيمون دي بوفوار أساس مفهوم الجندر بعبارتها الشهيرة "لا تولد المرأة امرأة ، و لكنها تصبح كذلك" كما وازنت ديبوفوار بين مصير الذات الخاضعة للاستعمار و بين مصير النساء في ميل لتعميم أشكال القهر ، التعميم الذي سيسري في رؤى و كتابات هذه الحركة. أما المؤلف الثاني فيعود إلى أصل النظام البطريركي القائم على سيطرة و تفوق و اضطهاد الرجل للمرأة و يرى أنه كان مسبوقا بالعصر الأمومي الذي كان قائما على الملكية الجماعية ، و بعد الانقلاب الكبير نحو النظام الأبوي بدأ عصر اضطهاد المرأة مترافقا مع كافة أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان، ليتحول الاستغلال إلى سياسة ثابتة حكمت جميع المجتمعات البشرية، وقد انطلقت جميع الدراسات النسوية اللاحقة من هذه النقطة ،معتبرة العصر الأمومي الذي سبق العصر البطريركي من المسلمات[15].

و لأن هذه الموجة تبلورت في الستينات فقد تزامنة و انتهاء الاستعمار في عديد الدول ، و الذي يمثل أقوى تجسيد للفلسفة الذكورية ، فكانت ما بعد الاستعمارية لحظة فارقة في مسار النسوية ، تسلحت فيها بمناهج راجعت بها الأبنية الغربية للمعرفة و الإنتاج ، و مزيد من الكشف عما فيها من مركزية جائرة و تراتبية هرمية أدت إلى جانب اضطهاد النساء إلى العنصرية و الإستعمارية. بمواجهة العنصرية ظهرت النسوية السوداء بداية السبعينات بريادة أنجيلا ديفيز A. Davis و فيلومينا ستيدي F. Steady ، فكانت نسوية زنجية تستجوب النسوية البيضاء و تشيد معرفة ناجمة عن خبرة حية للمرأة السوداء التي تجمع بين رفض أنفراد الرجال بمراكز السلطة وبين رفض انفراد المرأة البيضاء بالسلطة المعرفية في الفلسفة النسوية .

أما الاستعمارية و ما بعدها ، فقد إلتقت النسوية الغربية في موجتها الثانية مع المجتمعات المتحررة من الاستعمار في كل من آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية ، التقت في الخلاص من قهر الرجل الأبيض. و إن كانت النسوية الغربية تفخر بدور النساء المكافحات اللاتي شاركن في النضال للتحرر من الاستعمار بأنفسن و لم يكتفين بإنجاب الرجال المناضلين، فكن قوة ظاهرة و خفية في النضال من أجل الحرية وتحقيق الذات القومية. و انصهار الحركة النسوية في العالم الثالث في الحركات التحرر القومي و مقاومة الاستعمار فقد اشتبكت بالقضايا الشائكة المتعلقة بالهوية و اللغة و القومية ، القومية التي كانت ترفضها فرجينيا ولف باتت أهميتها واضحة في بحث قضية الجنوسة التي لا تنفصل عن وضع النساء في مجتمعات العالم الثالث بعد نجاح حركات التحرر القومي[16]. غير أن بروز هذه النسويات الجديدة زاد من حدة التمزقات داخل الحركة النسوية و بات واضحا اختلاف أجندات النساء من مختلف الأعراق و الثقافات و الطبقات عن أجندة المرأة البيضاء من الطبقة المتوسطة التي كانت تحتكر خطاب النسوية.

مابعد النسوية :

في منتصف ثمانينات القرن العشرين ظهر مصطلح ما بعد النسوية و التي تعرف بأنها الأفكار و المواقف و ما إليها التي تتجاهل أو ترفض الأفكار النسوية التي شاعت في الستينات من القرن العشرين و العقود التالية. من بين المنتصرات لها آن بروكس التي تقول أن الموجة النسوية الثانية بنت مقولاتها على أساس مخاطبة النزعة الإنسانية اللبيرالية للحداثة المستنيرة ، تفترض أن قلب الثنائية الهرمية الرجل/المرأة سيؤدي وحده إلى تحرير النصف المؤنث من المعادلة . لكن المنهج النسوي المتأثر بفكر ما بعد الحداثة يميل إلى الشك في العملية الأيديولوجية التي تضع "الرجل" و "المرأة" في فئتين منفصلتين متضادتين، وقد تسعى إلى اقتلاع فكرة الذات المستقلة من جذورها تماما ، فهي ترى أن ما بعد النسوية تضع التعدد في محل الثنائية، و التنوع محل الاتفاق، لتفسح المجال للحوار الفكري الذي يتسم بالحيوية و التغير، و يصوغ القضايا و المناخ الفكري الذي تتميز به مرحلة الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة . و تحدد منظرات مثل جوليا كريستيفا و هيلين سيكسو و لورا مالفى و جوديث بتلر في تيار ما بعد النسوية قائلة أنهن ساعدن الحوار النسوي بتقديم المعين النظري الذي يتمحور حول التفكيك و الاختلاف و الهوية . تمهد ما بعد النسوية حسب ما تقدمه بروكس لمفهوم تعددي عريض القاعدة لتطبيق النسوية ،التي تتناول وفق هذا المنظور مطالب الثقافات المهمشة و المستعمرة و ثقافات الشتات من أجل خلق نسوية غير مهيمنة قادرة على التعبير عن التيارات النسوية المحلية الأصلية في مرحلة ما بعد الإستعمار[17].

قوبلت هذه الموجة برفض النسويات و وصفت بأنها ردة فعل رجعية ، رافضة لمكاسب النسوية و نظالاتها السياسية ، خاصة و أن ما بعد النسوية ابتعدت عن العمل السياسي و الاجتماعي ، من بين الأصوات الرافضة لما بعد النسوية سوزان فالودي التي أكدت في كتابها "الحرب غير المعلنة على النساء" الصادر سنة 1999 أن موجة ما بعد النسوية هي رد فعل مدمر للمكاسب التي حققتها النساء في الموجة الثانية، و أن انتماء النساء إلى ما بعد النسوية لا يعني أنهن وصلن إلى تحقيق العدالة و المساواة مع الرجال و تجاوزنها إلى ما هو أفضل. على الرغم من الجدالات التي قامت بين النسويات فإن دراسات الجنوسة بدأت تحل محل الدراسات النسوية في المجال الأكاديمي ، ومع أن النسوية في أصلها لم تكن حركة أكاديمية ، فإنها قادت إلى دخول مئات الآلاف من النساء إلى القطاع الجامعي ليس فقط في الدول المتقدمة بل حتى في الدول الأكثر فقرا ، و نتيجة لهذا التحول في الوسط العلمي كان يتأسس ببطء تخصص جديد هو الدراسات النسائية ، غالبا في وجه

مقاومة عنيدة ، لكن منذ التسعينات تحولت الدراسات النسائية إلى بشكل رئيس لتصبح دراسات الجنوسة[18]

نسوية مابعد كولونيالية من العالم الثالث:

ظهرت في العالم الثالث أصوات نسائية لها رؤية مختلفة عن رؤية المرأة البيضاء التي ابتدأت النضال لأجل تحررها قبل عقود ، بحكم اختلاف الخبرة الحية التي عاشتها تلك النساء و التي تجمع بين ألوان متعددة من القهر ، فأكدت النسوية في العالم الثالث على الربط الوثيق بين القهر الجنسي و القهر الطبقي و العنصري والإثني و الديني و النوعي، لكنها إلى جانب ذلك قدمت نقدا حادا للنسويات الغربيات اللائي يدعين معرفة نساء دول العالم الثالث ، رغم أنهن لم يبذلن الجهد اللازم لفهم طبيعة المجتمعات العالم ثالثية، يبرز هذا النقد من خلال عدد من الأعمال كمقالة "المركزية الغربية و تصورات الحريم" لـ ليلى أحمد 1982، و كذا مقالة تشاندرا موهانتي Chandra Mohanty عن "البحوث النسوية و الخطابات الكلونيالية" التي نددت فيها بتوحيد الفكر النسوي الغربي لكيان و فئة "المرأة" و تمثيل المرأة المسلمة ضمن فئة واحدة باعتبارها مقهورة تماما،و اعتماد التعميم لنتائج البحوث رغم اختلافات النساء حسب الطبقة أو حسب الفئة داخل المجتمع الواحد..و غيرها من الاختلافات. وكذا كتاب التركية ميدا بيغينوغلو Meda Beginoglu في "استيهامات استعمارية – نحو قراءة نسوية للإستشراق" ودراسة البنغالية الأمريكية غايارتي سبيفاك Gayarty Spivak "هل يستطيع التابع أن يتكلم"...و غيرهن كثير. و إن كان العالم العربي تأثرت بالحركة النسوية في موجتها "ما بعد النسوية" فإنه يجذر بالذكر أن أغلب الدول العربية خاضعة لأنضمة شمولية تحد من الحريات فتحصر نضال النساء في المنظمات النسوية التي تكتفي بالاشادة بالحقوق الوهمية الممنوحة للمرأة العربية ، مع ذلك ظهرت بعض الأصوات التي بقي تأثيرها تقافيا محصورا في الآراء المتبادلة بين المثقفين، من أهمها تجربة مجلة "باحثات" 1995 لباحثات لبنانيات أعلن عن رغبتهن في تطوير ملكة الرغبة في الإكتشاف و النظر ، و قبول الاختلاف ، و مقارعة البديهيات، لتطوير فكر نسوي عربي، إلى جانب جهود فردية أشهرها نوال السعداوي ، و آسيا جبار.

النقد النسوي مابعد الكلونيالي:

قبل التطرق للنقد النسوي مابعد الكلونيالي نعرج بشكل موجز على تشكل الخطاب النقدي النسوي، مع الموجة الثانية من الحركة النسوية ، هذه الموجة التي توصف عادة بأنها "انفصال عن الآباء" لأن ناقدات مثل كيت ميليت Kate Millett و جرمين جرير Jermaine Greer و ماري إيلمان

Mary Illman قدمن مراجعات لما تسمه إيلمان بـ "الكتابة الفحلة" مركزات على المفردات المتحيزة جنسيا ، و على الصور النمطية للجنسين في أعمال المؤلفين الرجال، ملقيات للضوء على الملامح التي قصرها هؤلاء الكتاب على النساء كالهيستيريا و السلبية، من أمثلة هذا النقد كتاب جوديث فاتيرلي Judith Vatterley القارئ(ة) المقاوم(ة) 1978 The Resisting Reader الذي يعكس المقاربة الجديدة في النقد الأدبي والمبنية على خلفية سياسية ، لتهاجم الكاتبة كل من هينري جيمس وهيمنجواي و فتزجيرالد و فوكنر الذين كانت أعمالهم راسخة في الأقسام الأدبية الأمريكية.[19]

و بحلول السبعينات انتقل النقد النسوي إلى مرحلة جديدة وسمت بـ "النقد النسائي" gynocriticism و الذي يشير إلى دراسة الكاتبات و الموضوعات المتصلة بالنساء، فكان من أمثلته ما قامت به إيلين مويرز Eileen Moyers و إيلين شوولتر Eileen Showalter من توصيف للتعبيرات والثقافات الفرعية الأدبية النسائية، و تحديد سمات التاريخ الأدبي النسائي. أما كتاب إلين مويرز عن نساء الأدب فقد جاء ليصيغ شكل تراث الأدب النسائي، وهبت فيه الكاتبة تاريخا للكاتبات و وصفت اختيارات النساء في التعبير الأدبي.[20]

تمحورت كتابات الناقدات في هذا العقد حول اكتشاف وجود لغة مميزة للنساء و انشاء تراكم من النقد الأدبي ، فظهرت كتابات تتسم بالتواصل و هو ما يلاحظ على عناوين مثل: أشكال الصمت لـ تيلي أوستن Tilly Austin، و حلم اللغة المشتركة لـ إيدريان ريتش Idrian Rich ، أما أدب خاص بهن 1977 و النقد النسوي الجديد 1985 لـ إلين شوولتر فمثلا اسهاما مهما في هذا السياق، أضافت شوولتر في الكتاب الثاني توصيفا لأربعة نماذج للاختلاف على أساس الجندر و هي البيولوجي واللغوي و الثقافي و من منطلق التحليل النفسي زاعمة أن هذه النماذج هي الأفضل تناولا من خلال نموذج المركزية النسائية في النقد النسوي. و ان كانت كتابات شوولتر تقدم أدب النساء على أنه آخر بالنسبة للتراث الذكوري فإنها قدمت برنامجا متماسكا للنقد النسوي من خلال وصف فيض من كتابات النساء . في الثمانينيات كانت كبرى انجازات النقد النسوي قدرته على تحديد و ممارسة نقد أدبي بالغ التنوع من منطلق الجندر ، و كانت بؤرة التركيز النسوية في هذه الفترة منصبة على اللغة وإعادة فهم العلاقات القوية و المعبرة جنسيا بين اللغة و الأشكال الأدبية و نفسيات الرجال و النساء ،من خلال بحث العلاقة بين الهوية الجندرية و بين اللغة. فتأثرت الناقدات بالفيلسوف اللغوي جاك ديريدا و ظهر أول نص تفكيكي في النقد النسوي و هو كتاب توريل موي Torell Moi عن السياسات الجنسية/النصية 1985.[21]

لتظهر تيارات مختلفة بعد هذه الفترة من النقد النسوي منها النسوية السوداء،و النسوية المثلية، والكتابة المؤنثة ...و غيرها، لكن ما يهم بحثنا هو المقاربة ما بعد الكلونيالية للنسوية، التي تجاوزت

المساق التقليدي للدرس النظامي ، و راحت تستعير المقاربات المنهجية لمجالاته فتزايدت الكاتبات النسويات المعنيات بعوامل من قبيل الطبقة و العرق و الإثنية و التوجه الجنسي و الدين [22] ،التي ليست قضايا مضافة للجندر بل انها تعمل جميعا معا بشكل متداخل ، كما سعت هؤلاء الكاتبات في ظل هذه المقاربة إلى تجاوز حدود الأقاليم و القوميات و حتى القارات ، لدراسة قضايا الهوية والتعدد الثقافي و مسألة تمثيل المرأة سواء المستعمرة أو المستعمَرة، بأقلام نسويات من العالم الثالث غالبا أشهرن نقدهن الحاد للخطاب النسوي الأبيض، من بينهن – كما ذكرنا آنفا- شاندرا موهانتي التي تعترض على بعض النصوص الغربية التي ترد فيها نساء العالم الثالث على أنهن موضوع واحد و كتلة صماء؛ متجانسة و مختزلة ، تتغاضى هذه النصوص عن النواحي البنائية المركبة التي تميز حياة النساء في العالم الثالث و "تستعمرها"، و مصطلح استعمار كما تشرحه علامة مميزة لكل شيء من سلالم التراتب الهرمي الاقتصادي والسياسي إلى انتاج خطاب ثقافي معين عما يسمى بالعالم الثالث ، و وصولا إلى استخدام النسويات الملونات له لوصف انتحال النساء البِيض المهيمنة لخبراتهن و نضالهن.

تركز موهانتي نقدها للخطاب النسوي الأبيض إذن على وضعه النساء كفئة للتحليل موحدة بغض النظر عن الموقع و الطبقة و العرق، و العنصر، و كونهن جميعا خاضعات للنظام الأبوي حتى يبدو أنه مآمرة عابرة للثقافات، كما تنظر لمنهج تلك النصوص حين تقدم شواهد محدودة من ثمة تعمم على سائر الثقافات. لتخلص إلى أن النسويات البيض توصلن إلى وضع فكرة عن امرأة العالم الثالث المقهورة ، والمقيدة جنسيا و المنتمية إلى هذا العالم الثالث فهي جاهلة و فقيرة و غير متعلمة و مرتبطة بالتقاليد، ومدجنة... و لأن نصوص الغربيات تنتج صورا متشابهة عن امرأة العالم الثالث فهي تفاقم من هيمنة فكرة تفوق الغرب و تحافظ على استمرارها، و تحرك بذلك خطابا استعماريا يمارس نوعا شديد الخصوصية من القوة في تعريف و ترميز الارتباطات بين العالم الأول و العالم الثالث[23].

أما غايارتي سبيفاك فقد ارتكزت إلى دراسات التابع في دفاعها عن المرأة الشرقية و مواجهة الهيمنة الغربية، غير أنها اهتمت بشكل كبير بالأبعاد المعرفية و الخطابية للتدخلات الأوروبية في ثقافات الآخرين،فوظفت مفهوم التمثيل في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم ؟" لتبين أن الذوات المستعمَرة قد سلب منها حقها في تمثيل نفسها، و أن المرأة في المستعمرات وقع عليها "عزل مضاعف" و تضرب مثالا بـ"ساتي" و هو طقس هندوسي تقوم فيه الأرملة برمي نفسها في محرقة زوجها المتوفى، هذا الطقس منظم بواسطة العادات الهندية فالوطنيون الهنود المستندون للنظام الأبوي يؤسسون خطابا مشغولا بنوايا النساء و يرون أن هن يرغبن بالموت، في حين شرع

البريطانيون قانونا يمنع هذا الطقس في أثناء انتدابهم للهند، منطلقين من أساس التحضر الشامل، لتخلص إلى أن "ساتي" تاريخ للقمع المضاعف و سرد يقوم على المرأة المهمشة و التابعة[24]. أما من خلال تحليلها للنصوص الأدبية فقد اعادت توجيه دفة النقد النسوي من خلال مقالها عن "ثلاث نصوص نسائية و مراجعة نقدية للامبريالية" فبدلا من تحليل النصوص على أنها سيرة نفسية لذات امرأة مناضلة كما فعلت النسويات البيض ، اللائي ركزن اهتمامهن على الشخصيات البيضاء المحورية في نصوص مثل "جين إير" و "بحر سارجاسو الواسع" خاضعات للمنطق السائد في نصوص انتجت في سياق استعماري، على عكسهن اتجهت سبيفاك لتحليل الطريقة التي تم بها تهميش بعض الشخصيات في النص ذاته، مثل الخادمة التي ترجع أصولها للمارتنيك.[25] تعيد جلوريا أنزالدو هذه الهويات المهمشة ، من خلال كتابها "الأراضي الحدودية" و "صياعة الوجه ،صياغة الروح" فكتاباتها مابعد الحداثية تعيد صياغة الهويات المختلفة و ذلك في عملية متواصلة من إعادة صياغة للحدود بين تلك الهويتين الأمريكية (من تكساس) و المكسيكية ، و المثلية و الأكاديمية. في السياق ذاته كتبت البريطانية السوداء أكوارج "الطوب و الباقات" و أوجوندیب-ليزلي التي ترى أنه يجب على النقد أن يعبر حدود الأدب لينظر إلى الثقافة بوصفها الناتج الإجمالي لـ "كينونة الشعوب"

في العالم العربي اعتمدت المؤرخة و الأديبة الجزائرية آسيا جبار على الأرشيف الفرنسي و مع مسحة من خيالها الأدبي و ما شهدته من محو للنساء من قصة حرب التحرير ، فوفرت منظورا جديدا لتاريخ الثورة ، باعتماد الأدب وسيطا للنقد التاريخي و السياسي. في حين تعود ليلى أبو لغد لمناقشة فكرة إنقاد الرجل الأبيض للمرأة الملونة من الرجل الملون في مقالها "هل تحتاج المرأة المسلمة إلى إنقاذ؟ و الذي يقدم نقدا للخطاب السياسي الأمريكي غداة التدخل الأمريكي في أفغانستان، حيث يعيد الخطاب السياسي الرؤية الانقاذية للمسلمات المقموعات مستعيدا النبرة الاستشراقية التي عملت على تكريس نمطي لصورة المرأة المسلمة الخاضعة و صورة الشرق الحسي المستبد القامع.

تحلل ليلى الخطاب السياسي و الاعلامي آخذة في الاعتبار الجانب الثقافي المعياري النمطي المسيطر على البرامج التلفزيونية الأمريكية ، لكنها تسأل لماذا جرت تعبئة الرموز الأنثوية في هذه الحرب ، و تخلص إلى ضرورة تعقل الاختلافات و تقبلها و هي تركز هنا على فكرة الحجاب التي درستها من الناحية الانتروبولوجية، لتدعو في ختام بحثها إلى تقبل الاختلافات و احترامها بما هي منتجات لتواريخ مختلفة و تعبير عن رغبات مبنية بصيغ متمايزة ،فالنساء المختلفات ربما يرغبن في مصائر

مختلفة عن مصائرنا. كما حذرت النسويات من العودة للنهل من عقليات القرن التاسع عشر أي عقليات المبشرات المسيحيات اللواتي كرسن حياتهن لانقاد شقيقاتهن المسلمات.

أما الباحثة السورية رنا قباني فتعود لكتب الرحالة الأوربيين في كتابها "أساطير أوروبا عن الشرق ،لفق تسد. فتتناول تمثيل المرأة الشرقية في صور الحريمية و الإيروتيكية و قدمت مجموعة من النماذج منها الأميرة المسلمة العاشقة التي تهب جسدها لفارسها الأبيض ، فتكرس هذه النصوص فكرة الغرب العقلاني و الشرق الشهواني[26] و هروب المرأة الملونة من قامعها الرجل الملون نحو الرجل الأبيض

انطلقت النسوية اذن من الخبرات الشخصية التي صيغة للدفاع عن قضايا خاصة ، و اتجه بعضها في المسار الاصلاحي و أهم ما ميزها في موجتها الأولى هو كونها جهودات فردية تطالب باصلاح بعض القوانين.

بينما اتخذت شكل الحركة الجماعية في موجتها الثانية و استهدفت تحرير المرأة ، غير أن النساء في هذه الفترة تشبعن بايديولوجيات مختلفة فظهرت بينهن اختلافات في الرؤى و السبل التي يرينها كفيلة بتحقيق ذلك الهدف فانقسمت الحركة إلى تيارات عدة،

امتهى انقسام النسوية إلى تيارات صغيرة داخل الحركة إلى اعلان موتها مع موجة ثالثة ارتبطت بفكرة المابعد فكانت مابعد النسوية التي استفادت من الجهد النظري المتحور حول التفكيك والاختلاف و الهوية، فوضعت التعدد في محل الثنائية، و التنوع محل الاتفاق.

و باستقلال الدول التي كانت تحت نير الاستعمار ظهرت أصوات نسائية من العالم الثالث مناهضة لهيمنة النساء البيض على الخطاب حول المرأة في مقاربة مابعد كلونيالية للنسوية حيث استفادت من مقولاتها في صياغة خطاب نقدي نسوي جديد يتمحور حول المرأة العالم ثالثية وتمثيلها، وينفتح على موضوعات العرق و الطبقة و القومية، و يعيد الاعتبار للخبرة، و ينادي باختلاف و تعقله.

هوامش البحث

[1]: آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، 2007، ص 32

[2]: المرجع نفسه، ص33

[3]: بيل أشكروفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، دراسات مابعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية،تر:أحمد الروبي،أيمن حلمي،عاطف عثمان،كرمة سامي،المركز القومي للترجمة،مصر2010، ص 178

[4]: سوزان ألس واتكنز، مريزا رويدا، مارتا رود نجويز، الحركة النسوية، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 2005، ص15

[5]: يمنى طريف الخولي ، النسوية و فلسفة العلم، مؤسسة هنداوي سي اي سي، المملكة المتحدة،2017،ص10

[6]: سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية، تر:أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2002،ص13

[7]: ينظر : المرجع السابق ، ص 14

[8]: سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية، ص40

[9]: المرجع نفسه ، ص42،43

[10]: المرجع نفسه ، ص49،51

[11]: ينظر : مية الرحبي، النسوية ، مفاهيم و قضايا، الرحبة للنشر و التوزيع، سوريا، 2014، ص16

[12]: سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية،ص56

[13]: المرجع السابق، ص23

[14]: سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية،ص60

[15]: مية الرحبي، النسوية ،ص19

[16]: يمنى طريف الخولي ، النسوية و فلسفة العلم، ص65

[17]: سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية،ص86

[18]: ديورنغ، سايمون، الدراسات الثقافية ، مقدمة نقدية،تر: ممدوح يوسف عمران،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت 2015،ص288

[19]: ينظر: ماجي همّ، النظرية الأدبية النسوية، تر:هالة كمال ،ضمن: النقد الأدبي النسوي، مؤسسة المرآة و الذاكرة، مصر ،2015،ص 178، 177

[20] : المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[21] :المرجع نفسه ، ص ص 179-181

[22]: ناريان ، أوما و آخرون ، نقض مركزية المركز، الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات ، بعد-استعماري، تر: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ، 2012، ص19

[23]: موهانتي ، شاندرا ، تحت عيون الغرب، الدراسات النسوية و الخطابات الإستعمارية، تر:سهام سنية عبد السلام ، نقلا عن : Chandra T. Mohanty ,Third World and the Politics of Feminism, Indiana University Press,1991,51-80

[24]: فرج ريتا، النسوية مابعد الكلونيالية، تفكيك الخطاب الاستشراقي حول نساء الهامش،مجلة الفيصل، مارس 2018، www.alfaisalmag.com?p=9064 تاريخ الإطلاع: أوت 2020

[25]: سارة ميلز ، النظرية النسوية مابعد الكلونيالية ، تر:هالة كمال ،ضمن: النقد الأدبي النسوي،ص169

[26]: المرجع السابق.

المصادر و المراجع:

1. بيل أشكروفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، دراسات مابعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية،تر:أحمد الروبي،أيمن حلمي،عاطف عثمان،كرمة سامي،المركز القومي للترجمة،مصر2010.
2. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،2007.
3. سوزان ألس واتكنز، مريزا رويدا، مارتا رود نجويز، الحركة النسوية، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 2005.
4. سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية، تر:أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2002
5. يمنى طريف الخولي ، النسوية و فلسفة العلم، مؤسسة هنداوي سي اي سي، المملكة المتحدة،2017
6. مية الرحبي، النسوية ، مفاهيم و قضايا، الرحبة للنشر و التوزيع، سوريا، 2014
7. ديورنغ، سايمون، الدراسات الثقافية ، مقدمة نقدية،تر: ممدوح يوسف عمران،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت 2015
8. ناريان ، أوما و آخرون ، نقض مركزية المركز، الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات ، بعد-استعماري، تر: يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ، 2012
9. موهانتي ، شاندرا ، تحت عيون الغرب، الدراسات النسوية و الخطابات الإستعمارية، تر:سهام سنية عبد السلام ، نقلا عن : Chandra T. Mohanty ,Third World and the Politics of Feminism, Indiana University Press,1991,51-80
10. سارة ميلز ، النظرية النسوية مابعد الكلونيالية ، تر:هالة كمال ،ضمن: النقد الأدبي النسوي، مؤسسة المرآة و الذاكرة، مصر ،2015
11. فرج ريتا، النسوية مابعد الكلونيالية، تفكيك الخطاب الاستشراقي حول نساء الهامش،مجلة الفيصل، مارس 2018. www.alfaisalmag.com?p=9064